

روسيا القادمة للخليج: الغرب من ترك الخليج وليس العكس



الدخول الروسي في الخليج سيكون بمواصفات مختلفة، لكنه سيكون ضمن علاقات يخطط لها لكي تدوم. راح زمان الرئيس المصري أنور السادات وهو يطرد الخبراء السوفييت من مصر مطلع السبعينات. الخليجيون مقتنعون فقط هي ما أوصلهم لحالة حرجة من الاستهداف على كل المستويات. الإيراني والحوي والحركات الموالية لإيران في البحرين وفي المنطقة الشرقية في السعودية، والتنظيمات الإخوانية في كل الخليج، والتهديد من الشمال حيث العراق الذي ضاع لصالح إيران، وعدم استقرار بعض دول المنطقة لأسباب مالية وسياسية، والتدخلات التركية من كل صوب بما فيها من الساحل الأفريقي الحاذي ومن اليمن مؤخرا، كلها عوامل يضعها قادة الخليج نصب أعينهم ويجدون أن روسيا، ربما بشكل استثنائي، يمكن أن تسد بعض الثغرات.

بوتين يعرف هذا جيدا ويتصرف على أساسه. الجيوسياسة لديه الآن تشمل دفع مياه الخليج.

الغرب ترك الخليج في مرحلة خطيرة يواجه فيها تهديدات وجودية من إيران ولزيادة صب الزيت على النار التخلي كان مع حفلة تشهير إعلامي للسعودية من إدارة أميركية لم تتم بشرا في السلطة

الإسرائيليون نفسه بحكم التحدي الإيراني. جولة وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف الأخيرة هي استكمال للدخول الاستراتيجي المتدرج للخليج. إذا كانت تركيا تقيم قواعد في الخليج وتتصرف وكأنها دولة خليجية بكامل الحقوق من بوابة قطر، فلماذا لا تتصرف موسكو بوتين بنفس العقلية، ما يخسره باين في الخليج يسببه بوتين.

تردد الخليج تاريخيا في استبدال العلاقة مع الغرب بعلاقة مع غير الغرب. الغرب رزمة كاملة. سلاح وحماية وثقافة وتجارة وسوق للنقط. ولكن هل يلام الخليج اليوم على تركه لتمسكه بالغرب؟ الغرب من ترك الخليج وليس العكس. والغرب ترك الخليج في مرحلة خطيرة يواجه فيها تهديدات وجودية من إيران. ولزيادة صب الزيت على النار، التخلي كان مع حفلة تشهير إعلامية غير مسبوقة للسعودية من إدارة أميركية لم تتم شهرا في السلطة. أكثر من هذا أن خليط الدلائل متوفر. سلاح متطور من روسيا، وسلع من الصين، وتكنولوجيا صناعية استثنائية من بلدان مثل كوريا الجنوبية قادرة على بناء محطات نووية أفضل من تلك الأميركية، وخدمات من الهند، ومؤخرا تقنيات معلوماتية إسرائيلية تشتريها الولايات المتحدة نفسها من الشركات الإسرائيلية. القادة الصينيون والهنود والكوريون تحركوا مبركا، في حين تربت الروس وقرض عصر

أسلحة روسية متطورة بعد تجسسي ملموس لثاني أكبر جيش في الناتو. صواريخ أس 400 الآن جزء من منظومة الدفاع للناتو ومعها "كم" خبير روسي يساعد في تدريب الطواقم وتشغيلها. شرق المتوسط تعبير مطاط. يصل إلى حواف تونس وإيطاليا. بقفزة كان بوتين في ليبيا. تعلم درس المرتزقة من الولايات المتحدة. لديكم شركة بلاكووتر وأنا لدي مجموعة فاغنر. في مكان لا يستطيع أن يرسل فيه الجيش، فإن فاغنر تقوم بالمهمة. ويوم لا يعجبني الترتيب، شركة وتنسحب لا عبء سياسيا أو دبلوماسيا. والمرتزقة خلقوا ليرتكبوا الانتهاكات بلا محاسبة كما تعلمنا من تجربة بلاكووتر. كان بوتين ينتظر أن ينضج الوضع في الخليج على نار هادئة. حرب جورج بوش في العراق وتفكيكه، ثم عبث باراك أوباما بفكرة ديمقراطية "الربيع العربي" والفوضى التي أعقبتها ثم زلازل دونالد ترامب، وأخيرا جو بايدن رئيس أميركي جديد يستهدف القوى الخليجية المعتدلة، وخصوصا السعودية.

حصار أميركي وتهديدات من الرئيس جون كيندي أوصلت العالم إلى سفير الحرب النووية. يرسل أسراب مقاتلات للتعلم المصري خلال وبعد حرب الاستنزاف مع إسرائيل بقودها طيارون روس لأن المصريين لم يتمكنوا التدريب على طائرات مع المتقدمة بعد تدمير قواتهم الجوية على الأرض في حرب عام 1967، لكنه يفرض على الطيارين صمنا لاسلكيا تماما كي لا يكتشف الإسرائيليون أن الروس جزء من الحرب. قوى عظمى تخاف من بلد مثل إسرائيل. علامات شيخوخة القيادة السوفيتية بدأت من الستينات وليس الثمانينات كما يُعتقد. الزعيم الشيوعي ليونيد بريجنيف كان رمزاً للجمود في القيادة، ولكنه لم يكن الرمز الوحيد. المكتب السياسي كان مشروع موات تعاقب على مدى فترة قصيرة لحين وصول ميخائيل غورباتشوف إلى السلطة وقتله لفكرة الاتحاد السوفيتي نهائيا.

كل هذا شاهده فلاديمير بوتين يوم انهار جدار برلين وكان ضابط استخبارات متوسط المرتبة في برلين. إذا ضاعت مهابة القوى العظمى، فإن الجميع سيحترق عليها. يبدأ المجاهدون في أفغانستان، وينتهي المظاهرون في أوروبا الشرقية.

لا تخجل روسيا من إرسال مقاتلاتها وقاصفاتها الإستراتيجية لضرب الأهداف في سوريا وقلب ميزان الحرب. حرب عادلة أم قذرة لا يهم. لماذا؟ لأن كمة شيئا اسمه إطلاة بلا قيود على المتوسط تتوفر مع هذه الفرصة الإستراتيجية.

من قاعدة حميميم الجوية والقاعدة البحرية في طرطوس أطل الروس على شرق المتوسط. خسارة طائرة مقاتلة أسقطها الأتراك جعلت بوتين يطوع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ويقلب طبيعة العلاقة بينهما إستراتيجيا. صار من خالهم يفك العلاقات العسكرية

في الناتو ويبيع

بعد

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

تبدو روسيا في وضع جيوسياسي يشبه إلى حد كبير الوضع الجيوسياسي الذي رسمه الاتحاد السوفيتي. موقع إستراتيجي ورثة الحزب الشيوعي عن العهد القيصري بعد الثورة البلشفية، ونفس الموقع ورثته روسيا عن الاتحاد السوفيتي السابق. الفرق الأساس هو القيادة: ماذا تفعل بكل هذه القوة والمنعة الجغرافية في مواجهة تحديات وجودية مع الغرب سواء أكنت شيوعيا مؤدلجا أو وطنيا روسيا تريد لبلدك الموقع الذي يستحقه عالميا؟

قادة الثورة البلشفية فلاديمير لينين وجوزيف ستالين وليون تروتسكي كانوا يعرفون بالضبط ماذا يريدون من دولتهم عندما ورثوا النظام القيصري عام 1917. بورييس يلتسين كان سكيما لا يعرف ماذا يريد من دولته الروسية التي اقتطعتها من الاتحاد السوفيتي في مرحلة تفككه عام 1991.

لكن وريثه فلاديمير بوتين يعرف بالضبط ماذا يريد. الوضع الجيوسياسي لروسيا إذا لم يستمر، ويفرض قوته الخاصة، فإنه سيضيع كما ضاع وضع القوة العظمى للاتحاد السوفيتي. وفي أكثر من مرة أراد بوتين فيها أن يذكر بقوة روسيا نجح. في القرم وفي سوريا والأآن في شرق المتوسط. وها هو يجد فرصة يهز باب الخليج بعد أن وارتبه إدارات أميركية متعاقبة، فيجده مفتوحا. ومثلما أحس بالفرصة الإستراتيجية في القرم، يدرك أنها فرصة إستراتيجية في الخليج.

عيب الاتحاد السوفيتي السابق أنه كان مترددا في قمة قوته. ينشر صواريخه النووية

في كوبا أولا ويعتقد أن الولايات المتحدة لن ترصد الأمر، ثم يقدر

زعمه نيكيتا خروتشوف الانسحاب بعد



مخاطر الانهيار اللبناني واستنفاد فرص الإنقاذ

والإسرائيلية والإيرانية لاحقا) خرق هذه المعادلة وأدخل لبنان في أتون لعبة الحمار. ومن هنا تكمن أهمية العودة إلى مقاربة تركز على احترام الحقوق الوطنية اللبنانية في مواجهة إسرائيل عبر اتفاقية الهدنة والقرارات الدولية خاصة 425 و1701. ومن دون مزيدة أو مبالغة لا يمكن القبول بأن يكون لبنان أداة أي مشروع معاد لمحيطه ولا رأس حربة وحيدة في الصراع الزمن ولا رهينة عند محور إقليمي معين أو ورقة محجوزة بانظار الصفقات والتفاوض. وزيادة على كل هذه الموضوعات الضاغطة يجري التهويل على اللبنانيين بالعنمة الشاملة في نهاية الشهر توتيجا لأسوأ الأزمات والكوارث التي أصابت لبنان وتسببت بأكثر من نصف مديونته الخيالية أي أزمة الكهرباء. وكأنه لا يكفي الإذلال المعيشي اليومي وحجز ودائع اللبنانيين. حان وقت دق جرس الإنذار قبل استكمال الانهيار واستنفاد فرص الإنقاذ لأن معادلة "لا استقالة للرئيس ميشال عون ولا اعتذار للرئيس المكلف سعد الحريري" يمكن أن تأخذ إلى مزيد من التآزم ولا بد من اختراق وخروج من الحلقة المفرغة. ومن المفيد الإشارة إلى نوع من التشابه في الموقفين الفرنسي والروسي ولا بد أن يستكمل دوليا وعربيا عبر خطة تفرض تشكيل حكومة إنتقادية وعدم انتظار الترياق من منظومة تعودت على التآزم المشترك بين أقطابها. لكنها تكذب على اللبنانيين وعلى العالم.

1943 والقول بأن لبنان "لا شرق ولا غرب" يعني بوضوح تحييد لبنان عن صراعات الآخرين التي غالبا ما مزقته وحطمتها في أكثر من مناسبة. وهذا يتفق مع أهمية الإقرار بنهائية الكيان اللبناني وهوية لبنان العربية حسب تسوية اتفاق الطائف في 1989. كما يتصل بعدم الحياد في الصراع العربي - الإسرائيلي فقط وفق إمكانيات لبنان واحترام خياراته. وهنا تحضر "الصيغة" التي جرى إقرارها في عهد الرئيس فؤاد شهاب وتبنتها جامعة الدول العربية إبان الحقبة الناصرية وقضت أن يكون لبنان "دولة مساندة" وليس "دولة مواجهة" وانعكس ذلك في حرب 1967 بإبعاد لبنان عنها، لكن الوجود الفلسطيني المسلح بعد ذلك (وأياها التدخلات السورية

احترام توجهات البطريرك بشارة الراعي الذي دعا إلى مؤتمر دولي بعد الياس من إمكانية الإنقاذ الداخلي ودعا إلى الحياد الإيجابي وجرى تخويله من دون مبرر. وبالفعل يرتبط تاريخ الكيان اللبناني بدور بحري، وإذا كان من الأكيد بأن الفكرة اللبنانية لم تر النور لولا المؤسس الأمير فخر الدين المعني الكبير، فإن البطريرك الحويك كان أبرز صناع تأسيس الكيان الحالي في 1920، وكان البطريرك صفيير من أبرز رموز "الاستقلال الثاني" في 2005، واليوم يحاول الراعي الإسهام في انزاع إنقاذ مرتبط باستقلالية واستعادة سيادة. ويعيداً عن الجدل الصاخب حول الدعوة للحياح يتوجب التأكيد على تسوية "الصيغة" عند الاستقلال في

تدرجي وتقليص التداخل بين الدين والسياسة من خلال نمط حدادة علماني الطابع ملائم للتركيب اللبنانية حسبما نص عليه اتفاق الطائف مع تطويره في مرحلة لاحقة. وحصل تبعاً لقطع الطرقات جدل حول دور الجيش وقيادته وانهامها ضمناً بالتقصير، وقبل ذلك كان هناك تحريك لدعوى قضائية ضد مدير قوى الأمن الداخلي في هذا التوقيت الحرج، وكان "السلطان" باسيل (أعطى هذا اللقب سابقا للمتهم بالفساد حينها سليم شقيق بشارة الخوري الرئيس الأول بعد الاستقلال الذي يكتب التاريخ أنه سرعان ما تنازل عن موقعه من أجل الوطن) في سعيه لوراثة عمه في قصر بعبدا، لا يابه بواقع القوى الأمنية وسط الضائقة الاقتصادية والمعيشية، ولا يدرك هو وفريقه وحلفاؤه (افتخر الوزير السابق بيار رفول أن محوره أي محور المقاومة والممانعة قد انتصر في الإقليم) إلى أين أخذوا لبنان والموقع الأول للمسيحيين فيه.

أول مرة في تاريخ رئاسة الجمهورية يمكننا القول إن المواقع المارونية الأساسية في الدولة أي الكنيسة المارونية وقيادة الجيش وحاكمية المصرف المركزي لا تتفاهم مع ساكن قصر بعبدا. واللافت أيضا أن أبرز ثلاثة أحزاب مسيحية أي "الكتائب" و"القوات اللبنانية" و"الردة" (سليمان فرنجية) على خصام مع الجنرال ميشال عون. وهذا التفكك في الساحة المسيحية نذير شر للبنان في مطلق الأحوال ويستدعي

لمقعد وزاري أو لتنافس على معركة رئاسة الجمهورية. والأدهى أن ينهار البلد أمام عيون الجميع ولا يتنازل فريق رئيس الجمهورية من أجل "شعب لبنان العظيم" الذي تحققت رؤية الرئيس

ميشال عون بالانحدار به نحو جهنم، وكان التاريخ يتكرر مع نفس الشخص ونفس الأداء حينما تسلم رئاسة الحكومة الإنتقالية في 1988 - 1990. وبالطبع هذا لا يعني مسؤولية باقي المنظومة السياسية الشريكة في الخراب وخاصة حزب الله لأنه كان عراب وصول عون إلى موقع الرئاسة بعد تعطيل المؤسسات الدستورية بين 2014 و2016.

تخللت الأسبوع الماضي عدة أحداث متلاحقة ومقلقة بعد تجاوز سعر صرف الدولار في السوق الموازية عتبة العشرة آلاف ليرة، ولم يتمكن "اثنان الغضب" وقطع الطرقات من إعادة إحياء بدايات الحراك الثوري في 17 أكتوبر 2019 بسبب الفشل في بلورة التنسيق بين مجموعات وبروز تحركات جهوية أو حزبية متفرقة مما يصفه البعض بالانقسام بين "شعب لبنان" (أو طوائفه وملله أو قبائله)، لكنه في الحقيقة انعكاس لانعدام

المثالات الاجتماعية الموحدة عند الشعب اللبناني وهذا ليس بالغريب عن واقع المجتمعات المركبة والتعددية، ويمكن من خلال التسوية المتجددة تدعيم عناصر الوحدة الإنسانية للشعب اللبناني، وهذا يفترض في العمق تحييد المواطنة وعدم الإصرار على أن الطائفية هي نعمة أو نقمة، بل العمل على التخلص منها بشكل

د. حطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للدراسات والبحوث - باريس

يواصل وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان تحذيراته من تسارع الانهيار اللبناني وحذر أخيرا من أن "الوقت المتبقي للإنقاذ ضئيل جدا"، معتبرا أن "المسؤولين اللبنانيين مندبون" لعدم "احترام التزامهم جميعا قبل سبعة أشهر، بالعمل لتشكيل حكومة شاملة". وفي يوليو 2020 لم يكن لودريان غراب الشؤم عندما أطلق صرخته حول إمكان "زوال لبنان" على مشارف مئوية تأسيس كيانها، وبرهن تسلسل الأحداث منذ فاجعة مرفأ بيروت إلى اليوم على واقعية افتراضه المريرة مع الانسداد السياسي وتسارع الانهيار الاقتصادي وتبعاتهما، وذلك نتيجة الفشل المريع للفريق المتحكم بالمنظومة السياسية وعزلة لبنان الذي يدفع ثمن ربطه بالمحور الإيراني وإبعاده عن عمقه العربي الطبيعي وتضييع دور كنفادة المشرق على المحيط والعالم. وفي ما يتجاوز أطروحات الإحباط والياس أو الراهانات المخيطة، هناك شروط لبدء العمل الجدي قبل استنفاد فرص الإنقاذ. ومهما كانت الأعباء الخارجية، تبقى التسوية المتجددة بين اللبنانيين هي البداية مع تشكيل حكومة المهمة المنتظرة من أجل تأخير سقوط الهيكل على رؤوس الجميع وحينها لن ينفذ البكاء على الأطلال أو إطلاق صرخات الاستغاثة، ولا يبقى أي معنى

